هل تنسف التطورات المتصاعدة في إدلب مسار أستانا؟
تقدير موقف 06.02.2020

محمد أديب عبد الغني*[1]
بلال صطوف *[2]

مقدمة

أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في 2020\1\29م عن انتهاء وموت مسار أستانا والذي تمخض عنه اتفاقية خفض التصعيد في إدلب، جاء هذا التصريح مع استمرار خرق روسيا وقوات النظام السوري والمليشيات الإيرانية لاتفاقية خفض التصعيد والسيطرة على مناطق جديدة في إدلب مما تسبب في حدوث أزمة إنسانية تمثلت بازدياد عدد اللاجئين السورين الفارين من العمليات العسكرية إلى الحدود السورية التركية.

بالعودة للأسباب التي دفعت تركيا للدخول في مسار أستانا نجد أن هذه الأسباب تتمثل في

1. التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا عام 2015.
2. التغير في الموقف الأمريكي تجاه القضية السورية والتخلي عن فكرة إسقاط النظام السوري في مقابل استمرار دعمها لقوات سوريا الديمقراطية "قسد".
3. محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا عام 2016 والتي قادها فتح الله غولن المقرب من الولايات المتحدة الأمريكية وتداعيات ذلك على العلاقة التركية الأمريكية.

كان لهذه التغيرات تأثيراتها على الأوضاع الداخلية في سوريا من جهة تراجع قوى المعارضة السورية لصالح سيطرة قوات النظام والمليشيات الإيرانية، كما وكان لها أثر على الصعيد الإقليمي بتغير خارطة التحالفات الإقليمية وتمثل ذلك بتحول الموقف السعودي من دعم قوى المعارضة السورية إلى محاولة التفاهم مع روسيا لموازنة النفوذين التركي والإيراني, وبقاء تركيا وحيدةً في الملف السوري كداعم لقوى المعارضة في مقابل دعم روسي إيراني لقوات النظام وهذه ما دفع تركيا للدخول في تفاهم مع القوى المؤثرة في الملف السوري (روسيا- إيران)

التعامل التركي في ظل التدخل الروسي في سوريا:

أولاً: عملية درع الفرات

وهي عملية عسكرية سورية تركية؛ أطلقتها الحكومة التركية يوم 24 أغسطس/آب 2016م لدعم فصائل المعارضة السورية في سعيها لطرد تنظيم الدولة الإسلامية من منطقة الشمال السوري بدءاً من جرابلس، ثم توسعت لتشمل إبعاد المقاتلين الأكراد إلى شرق نهر الفرات.

كانت الأهداف التركية من العملية تتركز حول منع الأكراد من الربط بين ضفتيْ نهر الفرات حسب ما عده وزير الدفاع التركي "فكري إيشيق" حينها أولوية استراتيجية لتركيا وكان لتركيا أهداف

[1] *طالب علوم سياسية تخرج من جامعة شام العالمية

[2] *طالب علوم سياسية تخرج من جامعة شام العالمية

أخرى أيدتها أحزاب تركية معارضة في مقدمتها حزب الشعب الجمهوري-تركزت حول منع حدوث موجة نزوح جديدة، وإيصال المساعدات الإنسانية إلى المدنيين بالمنطقة، وتطهير الحدود من "المنظمات الإرهابية" بما فيها حزب العمال الكردستاني ووحدات حماية الشعب الكردية، والمساهمة في زيادة أمن الحدود[3].

من زاوية دولية زادت العملية حدة توتر العلاقات التركية الأمريكية ويتضح ذلك من خلال الإجراءات الأمريكية ضد تركيا وظهر أثر هذه العقوبات على أسعار صرف الليرة التركية.

ثانياً: الدخول في مسار أستانا

أدت التوترات في العلاقة الأمريكية الروسية على خلفية عملية درع الفرات واستمرار الدعم الأمريكي لقوات سوريا الديمقراطية وتوجه تركيا للحصول على منظومة صواريخ الدفاع الجوي الروسية s400 إلى تغير تركيا في بنية تحالفاتها بالشأن السوري فعمدت للدخول في تفاهمات مع كل من روسيا وإيران بوصفهم لاعبين أساسيين في الملف السوري نتج عنها محادثات أستانا والتي أدت إلى توقيع اتفاقية خفض التصعيد الموقعة في سوتشي عام 2017

الأهداف التي سعت تركيا لتحقيقها من خلال أستانا:

1. منع إقامة كيان كردي على الحدود السورية التركية

تعتبر محاولة قوات سورية الديمقراطية بناء كيان كردي في سورية إحدى أهم القضايا التي تؤرق الحكومة التركية بسبب تداعيات إقامة هكذا كيان على الداخل التركي بشكل مباشر وتجلى السعي التركي لمنع سيطرة القوات الكردية على مناطق حدودية في سورية من خلال عمليتي " غصن الزيتون" و "نبع السلام"

عملية غصن الزيتون:

انطلقت عملية غصن الزيتون في 20 يناير/كانون الثاني 2018م وتمكنت قوات المعارضة السورية بمساندة القوات التركية من السيطرة على منطقة عفرين وطرد مليشيات وحدات حماية الشعب الكردية من مدينة عفرين وضواحيها وتمركزت المليشيات في منطقة تل رفعت والقرى المحيطة بها.

يتضح جلياً موقف موسكو من العملية من خلال تحميلها الولايات المتحدة مسؤولية حدوث الأزمة في عفرين بعد دعمها الواضح لقوات حماية الشعب الكردية بهدف عزل المناطق الكردية وإقامة كيان انفصالي وهذا ما دفع روسيا إلى سحب وحدات المراقبة التابعة لها من المنطقة تجنباً لأي استفزاز[4].

عملية نبع السلام:

انطلقت العملية بتاريخ 9 أكتوبر/تشرين الأول 2019م بهدف السيطرة على المناطق الممتدة شرق نهر الفرات وإقامة منطقة أمنة وإبعاد قوات سوريا الديمقراطية عن الحدود السورية التركية, بعد اتفاق تركي أمريكي لانسحاب القوات الأمريكية من منطقة العمليات التركية, بعد انطلاق العملية

[3] درع الفرات.. عملية عسكرية متعددة الأهداف والجبهات, موسوعة الجزيرة, http://bit.ly/2umsWvd, أخر تحديث 2020\2\5

[4] "غصن الزيتون".. معركة لاستعادة عفرين, موسوعة الجزيرة, http://bit.ly/2Os0teg, أخر تحديث 2020\2\5

لمحت الولايات المتحدة الأمريكية إلى امكانية إجراء وساطة بين تركيا وقوات سوريا الديمقراطية ردت عليها أنقرة بتكثيف العمليات العسكرية شرق سوريا مما دفع واشنطن إلى تفوض مسؤولين أميركيين بصياغة مسودة لعقوبات جديدة "كبيرة جدا" على تركيا في ظل تهديد الاتحاد الأوربي بفرض عقوبات على أنقرة, عقب سيطرة قوات المعارضة السورية على مدينة رأس العين أعلنت روسيا ضرورة " تحرير سوريا من أي وجود أجنبي" في إشارة منها إلى عرقلة عملية نبع السلام عن تحقيق أهدافها كاملة في الوقت الذي أعلنت فيه طهران عن إمكانية إجرائها مفاوضات بين تركيا والنظام والقوات الكردية[5].

توصلت تركيا بتاريخ 22 أكتوبر/تشرين الأول 2019م لاتفاق مع روسيا تضمن نشر دوريات مشتركة وسيطرة القوات التركية على منطقتي تل أبيض ورأس العين بعمق 32كم عن الحدود التركية[6].

يتضح لدينا أن هذا الاتفاق قد قلص المناطق التي كانت تطمح أنقرة للسيطرة عليها ولم تستطع بذلك أبعاد قوات سوريا الديمقراطية عن كامل الشريط الحدودي ووصل منطقتي عمليات نبع السلام ودرع الفرات فقد احتفظت القوات الكردية بمنطقة عين العرب والشريط الممتد من رأس العين حتى الحدود العراقية وبذلك لم تستطع تركيا إزالة الخطر الكردي ومنع إقامة كيان كردي على حدودها.

2. الحد من تدفق اللاجئين السوريين إلى تركيا

سعت تركيا للاستفادة من مسار أستانا للحد من تدفق اللاجئين السوريين للداخل التركي من خلال العمل على إعادة السوريين المقيمين في تركيا إلى منطقتي درع الفرات وغصن الزيتون ومحاولة خلق حالة استقرار في إدلب عبر إبرام اتفاقية سوتشي لتخفيض التصعيد.

بلغ عدد السوريين العائدين من تركيا لمناطق درع الفرات وغصن الزيتون ونبع السلام 365 ألف شخص حسب تصريح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان[7].

فيما ارتفع عدد اللاجئين السوريين في تركيا من 2.6 مليون لاجئ بداية عام 2016م إلى أكثر من 3.5 مليون بداية عام 2020م حسب إحصائيات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين[8].

على الصعيد الداخلي بلغ عدد اللاجئين الفارين إلى المناطق الحدودية منذ توقيع اتفاق سوتشي في 17 أيلول/سبتمبر 2018 وحتى 4 شباط/فبراير2020م أكثر من 1.7 مليون نازح[9].

تظهر هذه الاحصائيات بشكل واضح عدم تمكن تركيا من تحقيق هدفها المتمثل بالحد من تدفق اللاجئين إلى المناطق الحدودية أو إلى الداخل التركي.

---

[5] تطورات عملية "نبع السلام" التركية في سوريا يوما بيوم. الجزيرة, 17\10\2019, http://bit.ly/39eqIwZ, أخر تحديث 5\2\2020

[6] بنود الاتفاق التركي الروسي حول شمال سوريا، سيبدأ تطبيقه على الفور, عربي بوست, 2019/10/22,http://bit.ly/2OtVqds, أخر تحديث 5\2\2020

[7] تركيا تكشف أعداد السوريين العائدين إلى المناطق التي وفرت الأمن فيها, ترك برس, 11\11\2019, http://bit.ly/2Urw4Rm, أخر تحديث 5\2\2020

[8] الموقع الرسمي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين UNHCR, http://bit.ly/2OK5BuL, أخر تحديث 5\2\2020

[9] منسقو استجابة سوريا, 5\2\2020,http://bit.ly/2Ov2RRE, أخر تحديث5\2\2020

3. الحفاظ على موطئ قدم للمعارضة السورية في أي حل سياسي مستقبلي في سوريا

سعت تركيا من خلال مسار أستانا إلى ضمان مشاركة قوى المعارضة في أي حل سياسي مستقبلي في سوريا من خلال الدفع باتجاه تشكيل اللجنة الدستورية والتي أُعلن عنها في نيويورك عبر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس بتاريخ 23\9\2019م.

على لسان وزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو أبدت أنقرة دعمها الواضح والصريح لعمل اللجنة الدستورية وأبدت فاعلية في العمل على إزالة كل ما يعيق تشكيل اللجنة وعملها[10].

وبالرغم من سعي هيئة الأمم المتحدة لإنجاح عمل اللجنة الدستورية إلا أن الخارجية الأمريكية حملت النظام السوري مسؤولية أخفاق عمل اللجنة وأوضحت أن الشروط المسبقة لوفد النظام السوري، تنتهك النظام الداخلي للجنة الدستورية، وأن هذه الشروط محاولة لتأخير جهود تدعمها مجموعة أستانا[11].

سيناريوهات محتملة للموقف التركي بعد التطورات الأخيرة في سوريا:

1. إعادة احياء مسار أستانا:

قد تلجأ تركيا إلى إعادة بناء تفاهمات جديدة مع روسيا وإيران وذلك للحفاظ على علاقاتها الاقتصادية مع روسيا ويرتبط هذا الموقف بشكل رئيسي بمدى استمرار موقف الولايات المتحدة الامريكية في دعم قوات سوريا الديمقراطية فتركيا تدرك خطورة بقائها منفردة في مواجهة روسيا وإيران في الملف السوري إلا أن هذا الاتجاه سيدفع تركيا إلى تقديم تنازلات جديدة لم تنص عليها اتفاقاتها السابقة مع روسيا وإيران في ظل مسار أستانا وسوتشي.

2. إنهاء المسار والتفاهم مع الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية:

وهو أكثر السيناريوهات ترجيحاً فبالرغم من عدم الاتفاق في قضية انضمام تركيا للاتحاد الأوربي وتوتر العلاقات الأمريكية التركية إلا أن تركيا تبقى أحد أهم فواعل الناتو في منطقة الشرق الأوسط وتظهر أهمية وجود تركيا في حلف الناتو بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية في قدرتها على بناء توازنات جديدة في المنطقة أمام النفوذين الروسي والصيني وتزداد أهمية تركيا لأمريكا في دورها المحتمل لأي عملية كبح وتقويض للوجود الإيراني في الشرق الأوسط وتحديداً في سوريا, وهذا لن يتحقق لواشنطن إلا من خلال إعادة بناء تفاهم جديد مع انقرة بشأن قوات سوريا الديمقراطية مما سيعزز توجه قوى سوريا الديمقراطية للتفاهم مع روسيا وهذا ما سيضاعف حجم الهوة بين أنقرة وموسكو ويصعّد من احتمالية تعزيز التماسك الداخلي في تركيا لشن أي عمليات عسكرية تستهدف النفوذ الكردي المدعوم من موسكو على اعتبار أن مسألة دعم المليشيات الانفصالية تمثل هاجس أمن قومي لدى الشعب التركي.

كما وتتقاسم تركيا والاتحاد الأوربي المخاوف من تدفق موجات لجوء جديدة قد تحدث جراء استمرار العمليات العسكرية في إدلب وهذا ما قد يدفع الاتحاد الأوربي لتقديم الدعم السياسي لأي عملية عسكرية تركية محتملة في إدلب.

---

[10] جاويش أوغلو: ندعم بقوة اللجنة الدستورية التي ستشكل في سوريا, ترك برس, 28\9\2018, http://bit.ly/2UzDfGW, أخر تحديث 5\2\2020

[11] واشنطن تحمّل النظام السوري مسؤولية إخفاق أعمال اللجنة الدستورية, وكالة الأناضول,1\12\2019, http://bit.ly/2SjTQvL , أخر تحديث 5\2\2020

3. إنهاء المسار بشكل منفرد:

يمكن لتركيا البقاء منفردة في الملف السوري في ظل عدم وجود تفاهم بينها وبين روسيا من جهة وبينها وبين الولايات المتحدة من جهة أخرى وتظهر دلالات هكذا سيناريو من الخطوات التركية المتدرجة مع خرق النظام وتجاوزه لاتفاق خفض التصعيد المتمثلة بعدم سحب نقاط المراقبة على الرغم من سيطرة قوات النظام على عدة مناطق محيطة بعدد من نقاط المراقبة التركية والدفع بتعزيزات من الجيش الوطني نحو جبهات المواجهة بإدلب و جبهات حلب الغربية والدفع بمزيد من الأرتال التركية والعتاد العسكري إلى الداخل السوري وإقامة قواعد عسكرية جديدة خارج إطار اتفاق خفض التصعيد تبعه الزج بقوات عسكرية كبيرة نحو الحدود مع سوريا والرد بالقصف على مواقع قوات النظام التي استهدفت القوات التركية في ريف إدلب وإعلان تركيا نشرها منظومة دفاع جوي محلية الصنع على الحدود السورية التركية المقابلة لإدلب.

يدعم هذا السيناريو تمسك تركيا المستمر بتبرير وجودها في إدلب استناداً إلى اتفاقية أضنة الموقعة مع النظام وما سيترتب على انسحاب تركيا من المنطقة ووصول قوات النظام للحدود السورية التركية من تهديد للأمن القومي التركي.

إلا أن ضخامة حجم تداعيات هذا الموقف سياسياً وعسكرياً واقتصادياً يجعل تركيا تعمل لتفادي هذا السيناريو.

قائمة المصادر:

- الموقع الرسمي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين UNHCR, http://bit.ly/2OK5BuL, أخر تحديث 2020\2\5
- بنود الاتفاق التركي الروسي حول شمال سوريا، سيبدأ تطبيقه على الفور, عربي بوست, 2019/10/22,http://bit.ly/2OtVqds, أخر تحديث 2020\2\5
- تركيا تكشف أعداد السوريين العائدين إلى المناطق التي وفرت الأمن فيها, ترك برس, 2019\11\11, http://bit.ly/2Urw4Rm, أخر تحديث 2020\2\5
- تطورات عملية "نبع السلام" التركية في سوريا يوما بيوم. الجزيرة, 2019\10\17, http://bit.ly/39eqIwZ, أخر تحديث 2020\2\5
- جاويش أوغلو: ندعم بقوة اللجنة الدستورية التي ستشكل في سوريا, ترك برس, 2018\9\28, http://bit.ly/2UzDfGW, أخر تحديث 2020\2\5
- درع الفرات.. عملية عسكرية متعددة الأهداف والجبهات, موسوعة الجزيرة, http://bit.ly/2umsWvd, أخر تحديث 2020\2\5
- "غصن الزيتون".. معركة لاستعادة عفرين, موسوعة الجزيرة, http://bit.ly/2Os0teg, أخر تحديث 2020\2\5
- واشنطن تحمّل النظام السوري مسؤولية إخفاق أعمال اللجنة الدستورية, وكالة الأناضول,2019\12\1, http://bit.ly/2SjTQvL , أخر تحديث 2020\2\5
- منسقو استجابة سوريا, 2020\2\5,http://bit.ly/2Ov2RRE, أخر تحديث2020\2\5